إنّ الحمد لله نحمده و نستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿ يأيها ألذ بن آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون﴾ [1]

﴿ يا أيها النّاس اتقوا ربّكم الذي خلقكم من نّفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساء لون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾ [2]

﴿ يأيها الذين آمنوا ا تقوا الله وقولوا قولا سد يدا يصلح لكم أعما لكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾ [3]

أمّا بعد: فإن أ صد ق الحديث كتاب الله عزّ وجلّ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وعلى آ له وسلم، وشر الأمور محدثاتها،و كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلا لة، و كل ضلالة في النار.

وبعد: فإن الإيجابية كأي صفة قد تكون جبلة فطرية في نفس صاحبها، وقد تكون مكتسبة نتيجة لاستشعار صاحبها بأهميتها وحاجته إليها، فيفسح المجال لاكتسابها حتى تكون وكأنها جبلة راسخة فيه، وفي هذه الورقة أتناول هذا الموضوع مرتبا إياها على المسائل التالية:

المسألة الأولى: مفهوم الإيجابية:

الإيجابية لغةً :مصدر صناعي من "وجب الشيء يجب وجوبًا:إذا لزم وثبت، وأوجب الشيء: جعله لازمًا." [4]

---

[1] آل عمران:١٠٢

[2] النساء:١

[3] الأحزاب:٧٠-٧١

[4] مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز(مادة وجب) ص (٦٦٠)

واصطلاحا: يبدو لي أن الإيجابية كمصطلح حديث مقابل لمعنى السلبية لا توجد لها صلة قوية ظاهرة بالاشتقاق اللغوي المذكور آنفا، ويمكن تحديد مفهومها بأنها "حالة نفسية سلوكية تكسب المرء نظرة تفاؤلية خيرية إلى الأفراد والهيئات والمجتمعات، وتحمله على أداء مسئولياته الشرعية والأدبية ."

والشخصية الإيجابية تتميز بأن نظرتها إلى الأفراد والمجتمعات تتمشى مع البراءة الأصلية في مخلوقات الله، وتتوقع دائما الخير والصفاء والنقاء ما لم يرد شيء معتبر يغير عنده هذه النظرة التفاؤلية، بينما تجد الشخصية السلبية تنظر إلى الناس نظرة تشاؤمية تطبع في مخيلته صورة قاتمة مظلمة شريرة لا خير فيها ولا تفاؤل معها.

المسألة الثانية: أهمية الإيجابية في حياة المسلم:

المجتمع مجموعة من الأسر، والأسرة مجموعة من الأفراد؛ فالفرد إذن هو العمود الفقري للمجتمع، فإن سَلِمَ هذا الفرد من الآفات وكان قويًّا فتيًّا إيجابيًّا كانت أمته كذلك بلا شك، وإن كان على العكس فمجتمعه سيكون كذلك، والمجتمع الذي لا يعرف أفراده الإيجابية ولا يعملون من أجلها مجتمع متفكك متأخر متشرذم.

وهذا يدل على أهمية غرس أسس الإيجابية في نفوس أفراد الأمة، وعلى خطورة الاهمال في هذا الجانب ، ومن دلائل أهميتها أيضا أنها:

- ✓ تمنع من الانحراف في الدين عقيدة وعبادة وسلوكا.
- ✓ تحمل على الصبر على قضاء الله وقدره.
- ✓ تحمل على الرضا بالله وبرسوله وبدينه.
- ✓ تحمل على تصحيح المفاهيم الخاطئة.
- ✓ تقي المجتمع عوامل الضعف والكسل.
- ✓ تعرف المسلم ما عليه من واجبات وما له من حقوق.
- ✓ تكسب المرء القدرة على تحمل أعباء الحياة والتغلب عليها.
- ✓ تمنع من الوقوع في اليأس والقنوط.
- ✓ تساعد في نشر الخير والفضيلة كما تساعد على تقليل الشر والرذيلة.
- ✓ تسهم في البناء الحضاري لمجتمع إسلامي راق.

المسألة الثالثة: كيف نحقق الإيجابية في أفراد المجتمع:

إن إصلاح الأفراد والمجتمعات يحتاج إلى أن تأصيل قيمة الإيجابية فيما بيننا، وأن نفعِّلها حتى يتم التغيير ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ الرعد: من الآية ١١ وعملية تأصيل الإيجابية قد لا تكون سهلة على مجتمع غارق أفرادُه في السلبية؛لأنها في حاجة إلى سلوك مسلك الجد من أجل التغيير، ومن أصعب الأشياء على الإنسان تغيير عاداته ومألوفاته. [1]

و من أراد أن يعدل سلوكه من سلوك سلبي معوج إلى سلوك إيجابي مستقيم لا بد أن يراعي الخطوات التالية:

١- تصحيح المقاصد والنيات.

المسلم الفطن يستحضر لكل عمل نية، ويجاهد نفسه لكي تكون هذه النية خالصة لله لا مدخل للهوى أو الشيطان فيها، فإن كنت من أولي العزم والنهى، ولم تكن من المغترّين فانظر لنفسك الآن، ودقق الحساب على نفسك ،وراقب أحوالك، ولا تسكن ولا تتحرك ما لم تحدد أولاً لَمَ تتحرك؟ وماذا تقصد؟ فإذا علمت أنه لا باعث لك إلا الخير فأمض عزمك وإلا فأمسك، ثم راقب أيضًا قلبك في إمساكك وامتناعك؛ فإن ترك الفعل فعل ، فلا ينبغي أن يكون الداعي هوى خفي لا يُطّلع عليه، ولا يغرنك ظواهر الأمور ومشهورات الأعمال.

٢- العزم والتصميم.

ولا بد للمسلم أن يكون لديه عزم قوي وإرادة ماضية إذا علم أن ما يسعى إليه خير محض، لا مدخل للشر فيه، ولا يصده عن ذلك أقاويل المثبطين،ولْيتوكل على الله بعد تحديد الهدف وتصحيح القصد، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾آل عمران١٥٩

٣- اتخاذ العدة والوسائل المناسبة لتحقيق الأهداف.

---

[1] ذكر أن لا عب كرة السلة الأمريكي الشهير كان يصور فيلما إعلانيا طريقته أن يخطئ في الكرة مرة ثم يشرب شربة كوكاكولا ثم يرمي فيصيب، وفي المحاولات رمى ست مرات قبل أن يتمكن من الخطأ!

وعملية التغيير تحتاج إلى استعمال وسيلة مناسبة لكل هدف، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً ﴾التوبة٤٦

والوسائل العملية المقترحة لتحقيق الإيجابية كثيرة نشير إلى بعض منها :

- ✓ دراسة السيرة النبوية.
- ✓ دراسة سير الصالحين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان.
- ✓ اختيار الصحبة ممن يتصفون بالإيجابية.
- ✓ نشر ثقافة الإيجابية في المجتمع والمحيط الخاص بك؛ فإن ذلك مما يحافظ عليك أنت شخصيا.
- ✓ مراجعة الأعمال الإيجابية التي تقوم بها وتقويمها.

المسألة الرابعة: مظاهر الإيجابية.

- ✓ الثقة بالله وحسن الظن به ..وقد ورد الأمر بالتوكل على الله في القرآن أكثر من ٣٠ مرة.
- ✓ التفاؤل بالخير وحسن الظن بالناس.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قَالَ:" مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا." (متفق عليه)

قال قتادة:" من استطاع أن يموت وهو حسن الظن بالله ، فليفعل." [1]

قال القرطبي في تفسيره : " فإذا كان العبد حسن الظن بالله لم يخف الإقلال لأنه يخلف عليه، كما قال تعالى: ﴿ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾ سبأ: ٣٩ فإذا فكر العبد في ما وعد الله به المحسنين من الجزاء العاجل قبل الآجل فإنه يثق بربه فلا يخاف فقرا، وبالتالي يحسن الظن بإخوانه فلا ينظر إليهم إلى من خلال ما لديه من ثوابت تؤكد أن الأمور كلها بيد الله سبحانه،، فانظر رحمك الله إلى حال أم المؤمنين خديجة بنت خويلد حين جاءها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فزعا من هول ما رأى

[1] رواه ابن جرير وعنه ابن كثير.

في غار ثور فقال لها : خشيت على نفسي، فقالت له:" كلا أبشر فو الله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم و تصدق في الحديث و تحمل الكل و تقري الضيف و تعين على نوائب الحق." [1]

المسألة الخامسة: هكذا علمنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الإيجابية.

لقد كان عليه الصلاة والسلام المعلم الأول للإيجابية رغم كثرة الشدائد والمحن التي تعرض لها هو وأصحابه، وقد انطبعت كل أعماله وتصرفاته عليه الصلاة والسلام بنظرته الإيجابية التفاؤلية التي لا تجعله يتوقع إلى الخير العميم والصلاح والنجاح، وفيما يلي أمثلة قليلة عن هذا النوع من التعليم:

١. الإيجابية في الدعوة.

لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنون كثيرا من المتاعب في بدء الدعوة إلى الإسلام، وكان المناوئون للدعوة يعملون كل ما بوسعهم لصد الناس عن الدخول في هذا الدين ، ونال النبيَّ عليه الصلاة والسلام كثيرٌ من الأذى في سبيل دعوته، وكان يقابل ذلك كله بالصبر والحلم–وهما من الصفات الإيجابية– ولم يكن يستعجل النتائج بل كان يعطي البعد الزمني حقه.

فقد روى البخاري ومسلم عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ قَالَ: لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ ..ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا."

[1] رواه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها.

هذا هو النظر البعيد الذي ينبغي أن يتعلمه المسلمون من هذا الموقف النبوي الإيجابي الكريم، والذي يؤكد أن من يدعو إلى الإسلام يجب أن يكون أبعد الناس عن الانتقام والتشفي لذاته، ولا يقابل الإساءة بمثلها ما بقي هناك أمل في اهتداء المدعوين إلى الحق.

٢. الإيجابية في معاملة الأهل والأصحاب.

في واقعة تعليمية أخرى جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ:" دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ أَوْ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ." (١)

رجل يبول في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيعامله عليه الصلاة والسلام هذه المعاملة الإيجابية التربوية، إنه لدرسٌ عظيمٌ حريٌّ بأن يستوعبه المسلمون حتى يتعلموا طريقة التعامل مع حدثاء العهد بالإسلام.

ومن تأمل ما جرى على الإسلام من الفتن الكبار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر طُلبت إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم ومنعه من ذلك مع قدرته عليه خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر.

و في واقعة أخرى: وروى الشيخان عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ:" بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ: وَا ثُكْلَ أُمِّيَاهْ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي سَكَتُّ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ- فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ أَحْسَنَ

(١) وهو متفق عليه من حديث أنس بلفظ مقارب.

تَعْلِيمًا مِنْهُ فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلا ضَرَبَنِي وَلا شَتَمَنِي- قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الصَّلاةَ لا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ."

٣. الإيجابية في معاملة المنافقين وسائر الأعداء.

إن حركة المنافقين تعد أقدم وأخطر حركة هددت كيان الدعوة الإسلامية في عقر دارها، بل في عمق بيتها، ومع ذلك كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقابل تحركاتهم بالتغاضي والعفو والصفح ترجيحا لمصلحة الحفاظ على كيان الأمة، وحصنها الداخلي ، فقد روى الشيخان عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قال:كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنْ الأَنْصَارِ فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنْ الأَنْصَارِ فَقَالَ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ. فَسَمِعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ فَقَالَ: قَدْ فَعَلُوهَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ. قَالَ عُمَرُ: يار سول الله دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ: دَعْهُ لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ."

في هذه الواقعة نستفيد:

١. أن المحافظة على سمعة الجماعة مطلب شرعي.

٢. أن ذلك يكون بالعمل وليس بالدعاوى والشعارات الخاوية.

٣. أن التسمي بالأسماء الشرعية المعبرة عن واقع المجموعة لا غبار عليه.

٤. و أنه إذا ترتب على التسمية نوع من العصبية صارت باطلة غير شرعية.

وإليك واقعة أخرى أظهرت هذه الصفة من أخلاق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذه المرة مع عدو لدود من المشركين كان يتحين فرصة سانحة للقضاء على صاحبة الدعوة وتصفيته جسديا:

فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قِبَلَ نَجْدٍ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قَفَلَ مَعَهُ فَأَدْرَكَتْهُمْ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِضَاهِ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ تَحْتَ سَمُرَةٍ

فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ قَالَ جَابِرٌ فَنمْنَا نَوْمَةً ثُمَّ إِذَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يَدْعُونَا فَجِئْنَاهُ فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَده صَلْتًا فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي قُلْتُ اللَّهُ. فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ (أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.)

وَوَقَعَ فِي رِوَايَة ابْن إِسْحَاق ..:فَوَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَده فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ وَقَالَ : مَنْ يَمْنَعُك أَنْتَ مِنِّي ؟ قَالَ : لا أَحَد . قَالَ : قُمْ فَاذْهَبْ لِشَأْنِك . فَلَمَّا وَلَّى قَالَ : أَنْتَ خَيْر مِنِّي " ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدَ .

قال الحافظ ابن حجر:" فقد مَنَّ عَلَيْه لشدَّة رَغْبَة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وآله وَسَلَّمَ فِي اسْتِئْلاف الْكُفَّار لِيَدْخُلُوا فِي الإِسْلام ، وَلَمْ يُؤْخَذْ بِمَا صَنَعَ ، بَلْ عَفَا عَنْهُ ."

وَقَدْ ذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ : "أَنَّهُ رَجَعَ إِلَى قَوْمه فَاهْتَدَى به خَلْق كَثِير ."

٤- الإيجابية في معاملة أهل البدع والمعاصي.

إن القاعدة العامة المقررة في قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ﴾ يجب أن يستشعرها الداعية في دعوته سواء في محيط من يدعوهم إلى الإسلام والإيمان، أم في محيط من يدعوهم إلى السنة وإخلاص العبادة لله تعالى.

فالذين وقعت منهم البدع أو المعاصي ليسوا جميعا على مرتبة واحدة، بل هم من حيث التأصيل العلمي الواقعي ينقسمون إلى أقسام:

١. فهناك من العلماء من أصل أصوله على البدعة وتبنى هذه الأصول عن علم ومعرفة، ودعا إليها، وهؤلاء هم المبتدعة الحقيقيون،وإن وافقوا السنة في بعض المسائل.

٢. ومنهم من تبنى منهج أهل السنة والجماعة وحصَّل السنة من منابعها واحتفى بها وناصرها وذب عنها ودار معها حيثما دارت عقيدة وعملا وسلوكا، فهؤلاء هم أهل السنة والجماعة، فإذا حصل أن اجتهد أحدهم في أفراد المسائل العلمية التي هي مجال للاجتهاد فأخطأ وقال فيها بقول أهل البدع لم يوصف بأنه مبتدع، فلو كان كل من أخطأ في مسألة ما حكم

عليه بالخروج من منهج السلف لم يبق لنا أحد؛ إذ لا معصوم إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

٣. العامة والدهماء من أتباع المذاهب والطوائف ، وهؤلاء ملحقون بمتبوعيهم لكن ينبغي الاهتمام بتعليمهم وإقامة الحجة عليهم، وهذا ما فعله صلى الله عليه وآله وسلم مع الثلاثة الذين كادوا يقعون تحت طائلة الإحداث في الدين لولا هذا الموقف الإيجابي التعليمي من النبي عليه الصلاة والسلام:

فقد روى البخاري عن أَنَسَ بْنَ مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:" جَاءَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ: أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ: آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلا أُفْطِرُ وَقَالَ: آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا . فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي."

وأما أهل المعاصي فينبغي الرفق بهم والأخذ بأيدهم إلى الصراط المستقيم، فقد رأينا الصورة الإيجابية واضحة في معاملة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للأعرابي الذي بال في المسجد.

وفي صورة أخرى: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ:إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا. فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ قَالُوا مَهْ مَهْ فَقَالَ: ادْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟ قَالَ لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ قَالَ أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاتِهِمْ قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ

وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ. فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ. [1] ونلاحظ هنا:

١- أن هذا طلب كبير أمام مقام النبوة.

٢- ومع ذلك لم ينهره كعادته مع الذين لا يعلمون.

٣- أسلوب الإقناع المنطقي الذي سلكه مع هذا الشباب.

٤- رحمته الواضحة في الدعاء له بالطهارة والنقاء من المعاصي.

المسألة السادسة: آثار الإيجابية .

آثارٌ كثيرة هي التي يجنيها المسلمون من الاتصاف بالإيجابية في الحياة الخاصة والعامـــة، نذكر طرفا منها في فرعين:

الفرع الأول: آثار الإيجابية في حياة الفرد المسلم.

- ✓ راحة النفس وانشراح الصدر، حيث يحب لإخوانه ما يحبه لنفسه.
- ✓ القدرة على تحمل المشاق في سبيل الدعوة.
- ✓ استيعاب جميع طوائف الناس وإتقان سبل جذبهم إلى المنهج الحق.
- ✓ القدرة على ضبط النفس في الأقوال والأفعال.
- ✓ المعرفة الواسعة في مجال هندسة ردود الأفعال فلا ينساق وراء العواطف.

الفرع الثاني: آثار الإيجابية في المجتمع.

- ✓ اتسام المجتمع بالتسامح والتصافي والخلو من التضغائن والأحقاد.
- ✓ فشو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق والصبر.
- ✓ اجتماع الكلمة ووحدة الصف.
- ✓ الرفعة والمنعة والغلبة.
- ✓ استحقاق نصرة الله وتمكينه في الأرض.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

[1] رواه أحمد والطبراني وصححه الألباني في الصحيحة.